حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

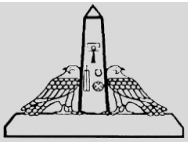

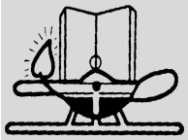

الاقتصاد اللغوي في صوائت القرآن الكريم (التماثل الحركي نموذجا)

عبدالله محمد رشاد*

باحث دكتوراه، قسم اللغة العربية، آداب عين شمس

المستخلص

يتناول هذا البحث ظاهرة التماثل الحركي بين صوائت القرآن الكريم، فكما تسعى الصوامت إلى التماثل بينها متخذة لذلك وسائل كالإدغام والإبدال والحذف، كذلك تسعى السياقات الصوتية في القرآن الكريم إلى التماثل بين الحركات المتنافرة لتحقيق أكبر قدر من التوافق والانسجام بين هذه الحركات.

وإذا وقع الانسجام بين الصوائت تحقق الاقتصاد اللغوي، فظاهرة التماثل غالبا ما يتبعها خفة وسهولة في نطق الصوائت والصوامت معا، مما يجعلها وسيلة مثلى يختارها الناطق لتحقيق غايته، وغالبا ما يصحب هذه الظاهرة اقتصاد في المجهود العضلي؛ لأن الخفة والسهولة هما عمادا الاقتصاد اللغوي.

ولسنا في كل حال نتوقع أن يلتمس الناطق أيسر السبل،وإنما نتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أيًا كانت درجته من اليسر.

ويناقش البحث هذه الظاهرة (التماثل الحركي) من خلال السياقات الصوتية في القرآن الكريم مستصحبًا ما جاء في كتب القراءات المتعددة من تطبيقات وأمثلة لهذه الظاهرة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٨.

تمهيد

يُقصد بمصطلح "التماثل" أو "التوافق الحركي": انسجام الصوائت وتآلفها في الصيغة الصرفية، فإذا وُجد في كلمةٍ ما تنافرٌ في أصواتها – مما يؤدي إلى بذل مجهود عضلي أكبر في نطقها نظرًا لثقلها– فإن اللغة تعمد إلى إيجاد وسائل لتُماثل بين حركاتها المتنافرة في هذا السياق الصوتي، وذلك يستدعي تأثير أحد الصوائت في الآخر ليتحول إلى صوت يماثله، حتى يتم الانسجام والتآلف بينهما؛ فتخف الكلمة على اللسان ويقلُّ الجهد العضلي المبذول في نطقها. وهذا التوافق في الكلمة العربية يسير وَفق نغم موسيقى لا يعرف النشاز أو الانحراف.

وقد اختلف اللغويون القدامى في تحديد مصطلح لـ"الانسجام بين الصوائت" فقد أطلق عليه سيبويه مصطلح الإتباع[١]، وتبعه في ذلك كثير من القدماء والمحدثين[٢]، أما ابن جني فقد أطلق عليه مرة لفظ التقريب[٣]، ومرة أخرى لفظ التجانس[٤]، بينما أطلق عليه ابن يعيش لفظ التشاكل[٥]، ومنهم من أطلق عليه لفظ المناسبة.

وجدير بالذكر أن التماثل الحركي قد يحدث بتأثير الصائت الأول في الثاني فيسمى (تماثل تقدمي)، أو بتأثير الصائت الثاني في الأول فيسمى (تماثل رجعي).

ولا تقتصر ظاهرة "التوافق الحركي" على العربية فقط، بل إن معظم لغات البشر تنزع إلى الانسجام والتوافق بين صوائتها، وهذه الظاهرة مرتبطة إلى حد كبير بالتطور اللغوي.

ويبدو التماثل الحركي في مظاهر مختلفة في القرآن الكريم أهمها: الإتباع، والإمالة، والتوافق بين الصوائت والصوامت، والتوافق في تركيب الأدوات.

الإتباع:

يحدث في أثناء التأليف الصوتي للكلمات المستقلة تتابع حركات متنافرة بين الكسر والضم، والضم والكسر، وكذا بين الفتح والضم، والضم والفتح، وقد يحدث التنافر بين الحركة وعدم الحركة (السكون)؛ نتيجة للتباين بينهما.

وقد يمتد التأليف الصوتي ليشمل عددًا من الكلمات المُلاصقة أو المجاورة؛ مما يطيل الكلمة الصوتية، ويزيد احتمال توالي المتنافرات من الحركات، فيدعو إلى التخلص منه بإيجاد قدر من التناسب بين حركات الكلمة المنطوقة.

والميل إلى المماثلة بين الحركات نمط من أنماط القوى الصوتية؛ إذ إن اختزال الفوارق والاختلافات بين الوحدات ينبثق من وعي ذاتي وإحساس شعوري، بالإضافة إلى نشاط ذهني يقصد به المتكلم إضفاء سمت خاص من التآلف غير الرتيب على سياقاته الصوتية.

يقول د/ إبراهيم أنيس "وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمة"[٦]

ويبدو الاقتصاد اللغوي في الإتباع في توفير الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم، فالضم – مثلاً – حركة خلفية يتراجع معها اللسان عن الحنك، فإذا انتقل المتكلم من الكسر إلى الضم، فإنه ينتقل من حركة متقدمة أمامية إلى حركة خلفية متراجعة، وهذا يستدعي جهدًا عضليًّا يُشكل عبئًا على أعضاء النطق، فضلًا عمّا يُحققه الإتباع من الخفة، وسرعة الأداء، وتحقيق الانسجام بين الحركات في السياقات الصوتية المتنافرة.

وعلى ذلك فمن قرأ "الحمدُ لُله" بإتباع الضم، أو"الحمدِ لِله"[٧] بإتباع الكسر، فقد اقتصد في الجهد العضلي في أثناء النطق بهذه الحركات؛ فبدلًا من أن ينتقل اللسان من

ضم الدال (وهي حركة متقدمة أمامية) إلى كسر اللام (وهي حركة خلفية متراجعة) وحَّد المخرج ونطق بحركتين من مخرج واحد؛ فبقي اللسان على وضعية الحركة التي عمل فيها أولًا، وبذلك تحقق الاقتصاد اللغوي في إعمال اللسان من وجه واحد.

ولكني أرى أن الإتباع بالكسر في هذه الآية أخف وأقل جهدًا من الإتباع بالضم؛ وذلك لأن الضم يحتاج إلى جهد عضلي أكثر" لأنه يتكون بتحرك أقصى اللسان في حين أن الكسر يتكون بتحرك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه"(٨)

ونلحظ في ظاهرة الإتباع أن المماثلة تكون تامة بين الحركتين: التابعة والمتبوعة فهي مماثلة كلية لا جزئية.

وفيما يلي نتناول أهم مسائل الإتباع الحركي التي وردت في القرآن الكريم، والتي تتجلى في ظاهرة الاقتصاد اللغوي.

١- إتباع همزة الوصل:

تعقب الحركاتِ الصوامتُ من أجل أن ينتقل المتكلم إلى صامت آخر متحرك، وهذا التعاقب منه ما يسهُل على الجهاز النطقى فلا يستدعي مزيدًا من الجهد، ومنه ما يصعُب عليه ويثقل؛ كالانتقال من الكسر إلى الضم، أو من الضم إلى الكسر. ولعل خير وسيلة لبيان هذا البعد النفسي في بحث الاقتصاد اللغوي من خلال التماثل الحركي ما يقال في إتباع همزة الوصل لحركة عين الفعل، فإذا كان الأصل في همزة الوصل الكسر، فإن هذا الكسر يشكّل سياقًا صوتيًا صعبًا إذا كانت عين الفعل مضمومة.

يقول أبو البركات الأنباري:"وذهب البصريون إلى أن الأصل في همزة الوصل أن تكون متحركة مكسورة، وإنما تُضم في نحو (اُدخل)؛ لئلا يخرج من كسرٍ إلى ضم، لأن ذلك مستثقل. ولهذا ليس في كلامهم شيءٌ على وزن (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين"(٩)

ومن أجل ذلك نزعت اللغة إلى توفير الجهد المبذول، تحقيق سهولة نطقية بأن حركت همزة الوصل بالضم في السياقات التي تكون فيها عين الكلمة مضمومة.

يقول سيبويه:"واعلم أن الألف الموصولة مكسورة أبدًا إلا أن يكون الحرف الثالث مضمومًا فتضمها، وذلك كقولك: اقتُلْ، استُضْعِفَ، احْتُقِرَ، احْرُنْجِمُ، وذلك أنك قربت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد كما فعلوا ذلك في "مُدُ اليومُ يا فتى" وهو في هذا أجدر؛ لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم"(١٠)

ويبدو الاقتصاد اللغوي في ضم همزة الوصل إتباعا لحركة الحرف الثالث من قول سيبويه "وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد" فاللسان مع الإتباع يتحرك بحركة واحدة من مخرج واحد بدلًا من أن يتحرك بين مخرجين متباعدين: مخرج الكسر، ومخرج الضم.

ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى"ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض،"(١١) فقد وافقت ضمة همزة الوصل الصامت الثالث في (اُسْتُضْعِفُوا).

ومن قبيل ذلك قوله تعالى:"ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون"(١٢)

فقد قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب والحسن والمطوعي في الوصل: "ولقدِ استهزئ بكسر الدال لالتقاء الساكنين على الأصل في التقاء الساكنين"(١٣)

وقرأ نافع والكسائي وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر "ولقدُ استهزئ" بضم الدال إتباعا لضم التاء؛ إذ الحاجز بينهما ساكن، وهو حاجز غير حصين.(١٤)

وجدير بالذكر أن الذين قرأوا بالإتباع في هذه الآية بذلوا جهدًا نطقيًّا أكثر من الذين قرأوا بكسر الدال، غير أن الاقتصاد اللغوي يبدو من خلال إعمال اللسان من وجه واحد، واستغلال الحركة الواحدة (الضم) وتوزيعها في سياق الآية الصوتي، وإن كانت بالضم أصعب منها بالكسر.

ويرى بعض الباحثين أن الدال في الآية السابقة (ولقد استهزئ) تحركت بحركة همزة الوصل (الضم)، إذ يرى أن حقيقة همزة الوصل نفسها لا تعدو إلا ان تكون حركة خالصة، فإن وُصل ما قبلها بما بعدها حُرك ما قبلها بها فقيل: (من أبيك) بكسر نون (من) و(منَ الرجل) بفتح نون (من)؛ لأن النون اتخذت همزة الوصل "الكسرة" في الجملة الأولى، واتخذت همزة الوصل "الفتحة" في الجملة الثانية.

يقول الدكتور سمير استيتية: "والذي نود أن نؤكده هنا أن همزة الوصل لا تضم ولا تكسر، وذلك بخلاف ما هو مفهوم من قول ابن يعيش:"وحكمها أن تكون مكسورة"، فالهمزة التي توصل هي نفسها ضمة أو كسرة، والضمة لا تُضم، والكسرة لا تُكسر."[١٥]

فإن قيل: لم كسرت التاء في (فعلتِ البنت)؟ و(لم تفعلِ البنت)؟ ولماذا لم تُحرك التاء واللام بالفتح على اعتبار همزة الوصل ههنا حركة؛ إذ هي فتحة في ال التعريف؟

والجواب: أنه مع تاء التأنيث لو تحركت بالفتح (همزة ال التعريف) لتوالى أربعة مقاطع: ثلاثة قصيرة حركتها الفتحة، والرابع متوسط حركته الفتح أيضًا؛ ولذلك خولف بين توالي الفتحات بالكسر. ولو حُركت تاء التأنيث بالفتح مع ال التعريف لقيل: (فعَلَتَ البنت) وهذه المقاطع ذات الحركات المتماثلة تجعل المقطع الأخير ذا ثقل بيّن؛ فيخالف بينه وبين ما سبقه بالتغيير من الفتح إلى الكسر.

يقول د/ سمير استيته:"خذ مثلًا همزة الوصل في الآية الكريمة:"وقالت اخرج عليهن"[١٦] فقد قرئت بكسر التاء في قالت، هذا هو الشائع، ولكن التاء تقرأ بالضم كذلك كما هي في قراءة ورش مثلًا: "قالتُ اخرج" بالضم. أي أن همزة الوصل هنا ممثلة بالضمة؛ لأنها نطقت ضمة، وهذا يثبت عدم صحة ما ذهب إليه ابن يعيش وغيره من النحاة العرب، عندما قالوا إن همزة الوصل تكون مكسورة أو تكون مضمومة فكأنهم وهم يثبتون لها الضم أو الكسر يثبتون صامتًا غير موجود"[١٧].

٢- إتباع حركة هاء الضمير (ضمير الغائب):

ضمير الغائب هو "الهاء" وحدها على ما ذهب إليه جمهور النحاة،[١٨] وأصل حركتها الضم، والواو الحاصلة بالإشباع زائدة لتقوية الإشباع، ولا تبقى الهاء على حركتها الأصلية (الضم) كما لا يبقى الإشباع.

فإذا سُبق الضمير بكسرة قصيرة أو طويلة أو ياء ساكنة، فإن ضربًا من التماثل والانسجام الحركي يتم بين حركة الضمير والكسرة التي تسبقه؛ فيُحرّك الضمير بالكسر، نحو: فِيهُ/فِيهِ، وعَلَيْهُ/عَلَيْهِ، وبِهُنَّ/بِهِنَّ، وقاضِيهُم/قاضِيهِم.

أما إذا لم يُسبق الضمير بالكسر فيبقى على أصل حركته وهي الضم نحو: مِنْهُ، لهُ، لولاهُ.

يقول سيبويه: "هذا باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار: "اعلم أن أصلها ياء أو كسرة، فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافًا كذلك كسروا هذه الهاء وذلك قولك: مررت بهي قبل، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل، وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديهو مال، ويقولون: فخسفنا بهو وبدارهو الأرض"[١٩]

فقد علل سيبويه إتباع حركة الضمير لما قبلها بالخفة والسهولة، وبيّن أن أهل الحجاز يُبقون حركة الضمير على أصلها (الضم).

ومن أمثلة إتباع حركة الضمير في القرآن الكريم، قوله تعالى: "فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ"[٢٠]

إذ جاءت الكسرة التي تلي ضمير الغائب في (مكرهن) لتوافق الكسرة قبلها، وفي (إليهن) كُسرت الهاء لتوافق الياء الساكنة قبلها، بينما بقيت الضمة في (لهن) على حالها؛ لعدم وجود تنافر بينها وبين الفتحة التي تسبقها.

ومن قبيل ذلك قراءة أبي عمرو بن العلاء: "ضربت عليهم الذلة"[٢١] بإتباعها الكسرة لالتقاء الساكنين.[٢٢]

قال أبو علي الفارسي مُحتجًّا على هذه القراءة: "وحجة من كسر الميم للساكن الذي لقيها والهاء مكسورة أن يقول: أتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسرة، كما استثقلوا ضم الهاء بعد الكسرة، وكذلك استثقلوا ضمة الميم بعد كسر الهاء ألا ترى أنه ليس في كلامهم مثل: فعل، وأنهم يضمون ألف الوصل في مثل: اقتل فراراً من الضم بعد الكسر"[٢٣]

أما ما ورد في القرآن الكريم على لهجة الحجازيين، فلم يرد في ذلك إلا آيتان، جاءت فيهما حركة الهاء على أصلها (الضم)، وذلك كما جاء في قوله تعالى: "وما أنسانيه إلا الشيطان"[٢٤]، وقوله تعالى: "ومن أوفى بما عاهد عليه الله"[٢٥] فقد جاء فيها الضمير "أنسانيه" و"عليه" بالضم رغم أنه سبق بكسرة طويلة في "أنسانيه"، وبياء ساكنة في "عليه".

وقد يقول قائل: لماذا وردت اللهجة الحجازية في هاتين الآيتين، ولم ترد في غيرهما؟

ويبدو أن هناك تفسيرًا صوتيًّا آخر لمجئ حركة الضمير على أصلها (الضم) في الآيتين، ففي قوله تعالى"ومن أوفى بما عاهد عليه الله" جاءت حركة الضمير بالضم؛ لتناسب جو التفخيم في الآية الكريمة، فقد ضُمت الهاء حتى تبقى لام لفظ الجلالة (الله) مفخمة، ولو كُسرت حركة الضمير لرققت لام لفظ الجلالة، والترقيق لا يتناسب والمعنى العام للآية؛ فسياق الآية فيه تعظيم للعهد وتعظيم للمعاهد (الله عز وجل)، والتفخيم يناسب هذا التعظيم.

وهنا تبين الارتباط بين السياق الصوتي والجو العام (المعنى) للآية الكريمة، أما ضم الهاء في كلمة (أنسانيه) فقد حدث ذلك – في رأي– حتى لا يتوالى الكسر فبعد النون كسرة طويلة، وهمزة (إلا) مكسورة، فلو كسرت الهاء في (أنسانيه) سيتوالى أربع كسرات، وهذا مما تفر منه العربية ؛ لأن فيه ثقل مستكره، كما أن ضم الهاء فيها يتوافق مع الضم في كلمة (الشيطان) فيحدث التوازن الموسيقي والانسجام الصوتي بين ما قبل (إلا) مع ما بعدها.

والانسجام بدوره أيًّا كانت طريقته يحقق الاقتصاد في الجهد المبذول.

١– توافق الصائت الذي يلي العين مع العلامة الإعرابية، ومن ذلك كلمة (امرؤ) فنقول في خالة الرفع: جاء امرؤ، وفي حالة النصب: رأيت امرأ وفي حالة الجر: مررت بامرئ؛ إذ تأثر الصائت الذي يلي الراء بالعلامة الإعرابية للكلمة، فتحول من ضمة في حالة الرفع، إلى فتحة في حالة النصب، وإلى كسرة في حالة الجر.

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: "إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك"[٢٦]

وقوله تعالى: "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً" [٢٧]

وقوله تعالى: "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"(٢٨)

٢- **توافق حركة فاء الكلمة مع حركة عينها في جمع التكسير** على وزن (فعول) وذلك كما في (عصي، وقسي)، فالأصل فيها: عصوو، وقسوو بعد القلب المكاني؛ إذ قلبت الواو الثانية ياء لتطرفها، ثم قلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الياء الثانية ثم أدغمتا، ثم قلبت ضمة العين كسرة لمناسبة الياء فأصبحت: عصي، وقسي. ثم يأتي دور التوافق الحركي بين فاء الكلمة وعينها، وذلك عن طريق تأثر ضمة الفاء بكسرة العين، فقلبت كسرة لتتوافق وتنسجم معها، فأصبحت: عصي، وقسي.

ولا يخفى ما أحدثه التوافق هنا من سهولة ويسر في نطق الكلمة، والسهولة واليسر هما أقصر الطرق للاقتصاد اللغوي.

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: "فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون"(٢٩)

٣-**توافق حركة عين الكلمة مع حركة فأيها في الاسم المجموع جمعًا مؤنثًا سالمًا** على وزن (فعْلة) فإنه يجمع على (فعَلات)، نحو: قصْعَة/ قصَعات، وجَفْنَة/ جَفَنات، وتَمْرة/ تَمَرات. والأصل أن تكون العين ساكنة إلا أنها فتحت لتوافق الفتحة قبلها، وحتى يفرق بها بين الاسم والصفة.(٣٠)

أما إذا كانت الفاء مكسورة أو مضمومة، فإنه عند جمعها جمعًا مؤنثًا سالمًا يجوز في حركة العين ثلاثة أوجه:

١-التوافق

٢-السكون على الأصل

٣-الفتح

ففي جمع كسرة وغرفة الأوجة الآتية:

كِسْرات، وغُرْفات (سكنت العين على أصل المفرد)

كِسِرات، وغُرُفات (وافقت حركة العين ما قبلها)

ومنه في قوله تعالى:" كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم"(٣١)، وقوله "ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت"(٣٢): "والحرمات قصاص"(٣٣) وقوله: "ولا تتبعوا خطوات الشيطان"(٣٤)

١- توافق حركات البناء:

ومن مظاهر الإتباع الحركي التي تبدو فيها قيم الاقتصاد اللغوي ما نلحظه من حركات بنائية في اللغة، فهذه المبنيات اتخذت لنفسها حركة واحدة تلزمها، وما كان هذا اللزوم إلا بعد تحقيق التوافق الحركي المفضي إلى الاقتصاد اللغوي.

ومن ذلك كلمة (منذ)، يقول المرادي: "واختلف في "منذ" فقال البصريون: بسيطة، وقال الكوفيون: مركبة عم اختلفوا، فقال الفراء: أصلها "من ذو" من الجارة، وذو الطائية مركبة، وعم اختلفوا، فقال القراء أصلها "من ذو: من الجارة، وذو الطائية وقال غيره منهم: أصلها "من إذ" من الجارة، وإذ الظرفية، والصحيح مذهب البصريين وفيه لغتان: ضم الميم وهي الفصحى، وكسرها وهي لغة سليم"(٣٥)

وإذا سلمنا بصحة رأي الفراء في (منذ) أن أصلها (من ذو) يكون قد حدث في الكلمة تطوراً لغوياً على مراحل أفضى إلى اقتصاد لغوي في نطق هذه الكلمة فأصلها كما جاء عن الفراء (من ذو)، ثم ضمت ميم (من) إتباعاً للضمة الطويلة في (ذو) فصارت: (منذو)، عم قصرت الحركة الطويلة (الضمة الطويلة) في (ذو) لتصبح الكلمة (منذ)

وأصاب الكلمة اقتصاداً آخر تمثل في سقوط النون لسكونها وإخفائها وليس بخاف أن كثرة الاستعمال ساعدت على ذلك ولاسيما أن بين النون والذال تقارب في المخرج والصفات مما ساعد على إخفائها وضعفها، وأضيف إلى هذا الاقتصاد اقتصادٌ آخر تمثل في حذف الصائت القصر (الضمة القصيرة) لتصبح الكلمة (مذ).

من ذو ← منذو ← منذ ← مذ ← مذ

وبذلك يظهر الاقتصاد اللغوي في (منذ) بتقصير الحركة الطويلة من (منذو) وحذفها من (منذ)، ودمج الكلمتين (من ذو) في كلمة واحدة، وضم الميم إتباعاً للضم بعدها، وحذف النون في (مذ)، وإسقاط حركة الذال في (مذ).

وكذلك لحظ ذلك التوافق الحركي في كثير من الأدوات المبنية قبل لزومها حركة بنائية واحدة.

فمن ذلك:

أ- **الأدوات التي تم فيها إبدال النون لاماً، وهي:**

- ألا، وأصلها : أن + لا
- إلا، وأصلها : إن + لا

ففي (ألا) المكونة من (أن) الناهية ولا النافية، أو أن المفسرة ولا النافية أو أن المخففة من الثقيلة ولا الناهية[٣٦] حدث أنه عند التقاء نون (أن) بلام (لا) أحدث ذلك ثقلاً مستكرهاً، وتطلب مجهوداً عضلياً مضاعفاً ؛ لأن النون واللام كلاهما من الأصوات المائعة، فهما لثوريان يخرجان من المخرج نفسه، وهذا يحدث ثقلاً وجهداً عضلياً في أثناء النطق بها، مهما أدى إلى تأثير اللام على النون تأثيراً تراجعياً فقلبت النون لاماً، ثم أدغمتا (ألا).

ومثال ذلك في القرآن قوله تعالى: "ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين"[٣٧] وقوله: لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل[٣٨]وقوله: "إلا تنصروه فقد نصره الله"[٣٩] فقد حدث في (إلا) كالذي حدث في (ألا)

- **الأدوات التي تتم فيها إبدال النون ميمًا، وهي:**

- مما ومم، وأصلها: من + ما
- عما وعم، وأصلهما: عن + ما
- ممن، وأصلها : من + من
- عمن، وأصلها: عن + من
- أما، وأصلها: أن + ما
- إما، وأصلها: إن + ما

ففي مثل (مما) المكونة من (من + ما)، التقت النون في (من) بالميم في (ما)، فأحدث ذلك ثقلاً مستكرهاً، وتطلب مجهودًا عضليًّا زائدًا في نطقهما؛ وذلك أن كلا الصوتين (النون والميم) من الأصوات الأنفية، فكان لابد من التخلص من هذا الثقل والاقتصاد في الجهد المبذول، فأثرت النون المتحركة على النون الساكنة تأثيراً تراجعياً فقلبتها من جنسها، ثم أدغمتا لتصبح مما أو مم.

ومثال ذلك في القرآن قوله تعالى: "مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً"[٤٠] وقوله: "فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها"[٤١]

وما حدث في (مما) من تغير صوتي، حدث في أخواتها (عما، وممن، وعمن، وأما، وإما).

١ – الإتباع في كلمة (أم):

إذا وقعت كلمة (أم) في موضع جر بلام الجر، فإن بعض العرب، يكسر حركة همزتها إتباعاً للكسر في لام الجر، فتقول: (لأمك)

ومن الشواهد التي يرويها النحاة لذلك:

اضرب الساقين إمك هابل [٤٢]

يقول سيبويه معقبًا على هذا البيت: " فكسرهما جميعًا كما ضم في ذلك"[٤٣] يعني: أجوءك وأنبؤك وهو منحدر

وقد قرأ حمزة والكسائي والأعمش: "فلأمه الثلث"[٤٤] بالكسر إتباعًا، وكذلك قوله تعالى: "فرددناه إلى إمه"[٤٥]، وقوله "حتى يبعث في إمها رسولاً"[٤٦]، وقوله: "في بطون إمهاتكم"[٤٧]

يتضح من هذه القراءات أنها لم تختص ما دخلت عليه اللام والجارة فقط، فأتبعت حركة الهزة كسرة اللام، بل تجاوز ذلك إلى أن يكون لفظ "أم" مجرورًا بالحرف أو بالإضافة، وهذا يعنى أن الإتباع في كلمة (أم) يكون إتباعاً لحركة لام الجر، أو قد يكون إتباعاً لكسرة الميم كما في قراءة حمزة والكسائي فرددناه إلى أمه

ويلاحظ أيضًا أن القراءة على الأصل"لأمه" بالضم فيها ثقل؛ وذلك لكراهة الخروج من كسر إلى ضم في اللام والهمزة – ثم إلى كسرة مرة ثانية، في الهمزة والميم، ولهذا كان الإتباع في هذه مصدر تخفيف وبعد عن الكراهة والاستثقال فضلًا عما يحققه من الاقتصاد في الجهد العضلي.

وجدير بالذكر أن كسرة همزة كلمة (أم) إتباعًا ما زالت له آثارٌ في بعض اللهجات العربية المعاصرة، كما في لهجة الفلسطينيين يقولون (يا إمي) و(لإمي).

يتبين من العرض السابق لظاهرة التماثل الحركي أن هذه الظاهرة يتبعها غالبًا خفة وسهولة في نطق الصوائت والصوامت معًا؛ مما يجعلها وسيلة مُثلى يختارها الناطق لتحقيق غايته، وغالبًا ما يصحب هذه الظاهرة اقتصاد في المجهود العضلي؛ لأن الخفة والسهولة هما عمادا الاقتصاد اللغوي.

Abstract

Linguistic economy in the sounds of the Holy Qur'an
(motor symmetry model)
By Abdullah Mohammed Rashad

This paper explores and deals with the phenomenon of the resemblance in utterances between the vowels of the Holy Quran.

Just like consonants pursuit resemblance using for this purpose means such as assimilation, substitution and omission, pronunciation in the Holy Quran pursuits resemblance between contrasting utterances to achieve the highest degree of harmony between these utterances.

Where there is harmony between vowels, linguistic economy is achieved. The phenomenon of resemblance usually gives way to agility, smoothness and easiness in the pronunciation of vowels and consonants together, the matter that ensures the optimum means chosen by the reciter to achieve their purposes. This phenomenon is usually accompanied by economy in muscular effort, since agility and smoothness are the pillars of linguistic economy.

The objective is by no means to expect that the reciter will always seek the easiest path, but what is expected is that the reciter will attempt to achieve some harmony of whatever degree of easiness and smoothness possible.

This paper does tackle the phenomenon of resemblance through phonetic contexts in the Holy Quran in connection with the different recital manners and applications and examples on the phenomenon of resemblance.

الهوامش

١- انظر الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٤٣٦/١، ٥٣٣/٣، ١٠٧/٤- ١٠٩-١٩٥.

٢- انظر شرح التصريح على التوضيح، خالدالأزهري، تحقيق: محمد باسل، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٤٦/٢.

٣- انظر: الخصائص، أبو الفتح عُثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النّجار، سلسلة الذّخائر، العدد ١٤٦، طبعة الهيئة العامة لقصور الثّقافة، ٢٠٠٦م، ١٦١/١.

٤- انظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م، ٦٠/١.

٥- انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٨٨/٥.

٦- في اللهجات العربية: د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٦٥.

٧- قرأ إبراهيم عن أبي عبلة (الحمد لله) وضم اللام من لفظ الجلالة إتباعاً لضمة الدال قبلها، ورويت هذه القراءة عن الحسن وذكر الفراء أنها لغة لبعض بني ربيعة وقرأ الحسن وزيد بن علي ورؤية وأبو نهيك "الحمد لله" بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام بعدها.

والقراء بالإتباع على الكسر عند ابن جني لغية ضعيفة ؛ لأن حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الإتباع إلا على مثل هذه اللغية.

انظر القراءتين في : البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد عوض، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٨/١ ومعجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، ط١، ٢٠٢٢م، دار سعدالدين للطباعة والنشر، دمشق- بيروت،٤/١، والخصائص ١٤٤/٢.

وهناك قراءة ثالثة بالنصب، إذ قرأ الحسن: "الحمد لله" بفتح اللام إتباعاً لنصب الدال وهي لغة بعض قيس.

انظر القراءة الثالثة في: النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٤٨/١، ومعجم القراءات:٥/١.
٨- انظر: في اللهجات العربية، ص٨٥.
٩- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ٧٣٧/٢.
١٠- الكتاب ١٤٦/٤.
١١- [القصص ٥/٢٨]
١٢- [الأنعام ١٠/٦]
١٣- انظر القراءة في : البحر ٤٩٠/١، النشر ٢٥٦/٢، ومعجم القراءات ٣٩١/٢.
١٤- انظر القراءة في: المراجع السابقة، وفي معجم القراءات ٣٩٢/٢.
١٥- الأصوات اللغوية، سمير استيتية ص٣٢٠، دار وائل للنشر، عثمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.
١٦- يوسف: ٣١/١٢.
١٧- الأصوات اللغوية، ص٣٢٠.
١٨- انظر: الكتاب ١٩٥/٤.
١٩- الكتاب: ١٩٥/٤.
٢٠- [يوسف٣١/١٢].
٢١- [آل عمران ١١٢/٣]
٢٢- انظر القراءة في: معجم القراءات،٥٥٧/١.
٢٣- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٣، ١٩٧٩م، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ٤٥/١.
٢٤- [الكهف ٦٣/١٨]
٢٥- [الفتح ١٠/٤٨]
٢٦- [النساء ١٧٦/٤]
٢٧-[مريم ٢٨/١٩].
٢٨- [عبس ٣٧/٨٠]
٢٩- [الشعراء ٤٤/٢٦].
٣٠- انظر: شرح المفصل: ١٥.
٣١- [البقرة ١٦٧/٢]
٣٢- [الأنعام ٩٣/٦]
٣٣- [البقرة ١٩٤/٢]
٣٤- [الأنعام ١٤٢/٦]
٣٥- الجنى الدائي في حروف المعانى: للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد فاضل، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية بيروت، ص٥٠١، وانظر: ص٣٠٤.
٣٦- انظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، ط١، ٢٠٠٠م، طبعة المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ص١٠٣.
٣٧- [النمل ١٣/٢٧]
٣٨- [النساء ١٦٥/٤]
٣٩- [التوبة ٤٠/٩]
٤٠- [نوح٢٥/٧١]
٤١- [البقرة ٦١/٢].
٤٢- انظر البيت في: الكتاب:١٤٦/٤، والخصائص: ١٤٥/٢، ٣/، والشاهد في البيت إتباع ميم "إمك" لكسرة الهمزة فيكون فيه إتباعان، ومنهم من يرويه "الساقين أمك" بإتباع نون الساقين" لهمزة "أمك"
٤٣- الكتاب: ١٤٧/٤
٤٤- [النساء ١١/٤]
٤٥- [القصص ١٣/٢٨]
٤٦- [القصص ٥٩/٢٨]
٤٧- [النحل ٧٨/١٦]